آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية مكتبية

تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الخامسة • العدد التاسع عشر • رجب ١٤١٨هـ = نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٧م

مجلة المباحث

وفيات ابن القنفذ

الشيخ الشاذلي النيفر
تونس

تدخل وفيات ابن القنفذ في عداد كتب الوفيات، وهي نوع من كتب التاريخ في التراجم، وهي مبنية على حسب سني وفياتهم، وابتدأت هذه الكتب بذكر الرواة من العلماء، ومن أول من ألف فيها أبو سليمان محمد بن عبدالله الحافظ، المتوفى سنة (- ٣٧٩هـ)، وقد تسلسل التأليف في كتب الوفيات، والتوسع في الوفيات، ومن أهم هذه الكتب كتاب «التكملة لوفيات النقلة» لزكي الدين أبي محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري (- ٦٥٦هـ).

ويقرب من تآليف الوفيات كتب الطبقات، وكتب الطبقات ألف فيها المشارقة الكثير، وهي متنوعة تنوع العلماء الخاصين بناحية من العلوم، وقد فصّل الكلام على هذه الطبقات حاجي خليفة (- ١٠٦٧هـ) في كتابه «كشف الظنون».

وأما علماء المغرب فكتبهم في هذه الناحية الطبقات والوفيات قليلة، وممن كتب في الطبقات من علماء إفريقية أبو العرب (- ٣٣٣هـ)، وأما في الوفيات فابتدأ التاليف فيها ابن القنفذ، لكن لم يخصصها بكتاب، وإنما ذيّل كتابًا له بها، وهو شرح القصيدة التي مطلعها:

غرامي صحيح والرجا فيك معضل
وحزني ودمعي مرسل ومسلسل

لابن فرْح - بسكون الراء - (- ٦٩٩هـ).

ابن القنفذ ترجمت له ترجمة واسعة في كتابه الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، قدمت بها كتابه، واعتنى بكتبه صديقي الدكتور عبدالمجيد التركي في مقدمة خاصة، وقد وقع نشر هذا الكتاب سنة ١٩٦٨م، بتقديمنا وتحقيقنا.

وابن القنفذ هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ابن القنفذ القسنطيني، ولد في حدود سنة (٧٤٠هـ - ١٣٣٩م)، وتلقى عن شيوخ عدّة من علماء الجزائر والأندلس وتونس، منهم العلامة الشهير التونسي أبو عبدالله محمد بن محمد بن عرفة الورغمّي التونسي (- ٨٠٣هـ).. مؤلفاته عديدة، وقع تفصيل الكلام عليها في أول كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، والكتاب الذي ذيّل به الوفيات هو شرف الطالب في أسنى المطالب.

التعريف
بشرف الطالب في أسنى المطالب

هذا الكتاب ذكر المؤلف أنه ألّفه إجابة لرغبة بعض

السائلين، وأوله بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «وبعد فإن معرفة الحديث وكتبه من مهمات أهل الفضل والاستدلال، وحافظ السنن الواردة في المعتقدات وفي الأقوال والأفعال، عظيم الدرجة عند الله – سبحانه – في العقبى والمآل، ولا طريق إلى معرفة ذلك إلا بتحرير علوم الحديث وذكر الناقلين من الرواة والرجال والتحفظ بمعرفة طبقات الناس من الإهمال والإغفال».

ولم تقع العناية بإخراج هذا الكتاب إلا بتكملته في الوفيات «وقدم لهذه الوفيات فصلاً وهو مما حافظ عليه أهل الحديث كثيراً، تاريخ وفيات الصحابة والمحدثين خوفًا من المدلسين، ولذلك قال بعضهم إذا اتهمتم أحدًا في أخذ أو في رواية فاحفظوا سنّه وسنة وفاة من ذكر، وبذلك يتبين هل أدركه أو لا. وسمع الأعمش برجل ينقل عنه وهو لا يعرفه فسار إلى مجلسه وسمعه يقول حدثني الأعمش، فوقف الأعمش، وقال والله ما حدثته، فهرب صاحب الحلقة وتفرقت الناس، ثم ذكر ولنذكر ما حضر من الوفيات تتميمًا للفائدة ونرتب الأمر في ذلك على المميّز في السنّ بوجه لم أسبق إليه).

وهذه الوفيات طبعت في الهند سنة (١٩١١م) ثم اعتنى بتخريجها المستشرق الفرنسي هنري بيريس في مصر، وختمها بفهرس للأعلام وفهرس للأماكن والبلدان وفهرس للكتب وفهرس للقوافي، ثم طبعه عادل نويهض في بيروت سنة (١٩٧١م) وترجم الوفيات التي ذكرها ابن القنفذ، وقد وقع في غلط كبير حيث ذكر في ترجمة ابن عرفة أنّ كتابه الشهير المختصر الكبير طبع مع أنه لم يطبع إلا تعاريفه التي شرحها الرَصاع التونسي وختمه بفهرس للمترجمين.

وقد عنون طبعته بكتاب الوفيات وهو عنوان غير صحيح، لأن الوفيات لم تكن كتابًا، وإنما هي ذيل لكتابه «شرف الطالب في أسنى المطالب»، وهو على كل، كتاب مفيد في تراجمه للأعلام التي ذكر ابن القنفذ.

وقد اعتنى أهل المغرب بوفيات ابن القنفذ، فذيل عليها الونشريسي أحمد بن يحيى الفقيه الشهير صاحب الكتاب المفيد، وهو «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب)، وتوفي سنة (– ٩١٤هـ) مع أن ابن القنفذ كان توفي سنة (– ٨٠٩هـ) على ما حققه الزركشي أو سنة (–٨١٠هـ) على ما ذكره غيره. ثم ذيّل على وفيات الونشريسي أحمد بن القاضي، وهو أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي، وتوفي ابن القاضي سنة (– ١٠٢٥هـ) وانتهى في وفياته إلى سنة (١٩٠٠م)، وقد اعتنى الأستاذ محمد حجي الأستاذ بكلية الآداب بالرباط بطبع الوفيات التي هي في ثلاثة كتب التي هي «شرف الطالب في أسنى المطالب» وهي «وفيات أحمد بن القنفذ)، ثم «وفيات الونشريسي»، ثم وفيات أحمد بن القاضي «لقط الفرائد من لُفَاظَةِ حُقَق الفوائد» سنة (١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م).

ويتبين من العناية بوفيات ابن القنفذ أنها وفيات لها قيمتها. وكما لوفياته قيمة، كذلك لكتابه شرف الطالب قيمة جُلى. حيث يعدّ شرحه لقصيدة غرامي صحيح أحسن الشروح، ولذلك لو يطبع لكانت له فائدة جليلة مع توفر نسخه، وأحسن النسخ هي النسخة الموجودة بمكتبتنا مكتبة آل النيفر بخط إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم الملقب بالمحجوز بتاريخ أواسط ذي القعدة عام (١٠٤٤هـ)، وإبراهيم هذا هو من أهل العلم، وهو والد العالم الجليل سعيد بن إبراهيم المحجوز، المتوفى سنة (– ١١١٩هـ). وهذه النسخة في غاية الإتقان والصحة، وكان إبراهيم هذا ينسخ لولده الكتب تمتيناً لعلمه، وهذه النسخة ضمن مجموع تحت رقم (٣٢٥) من مخطوطات مكتبتنا مكتبة آل النيفر، وبهذا المجموع كتاب آخر وهو شرح القوافي لقصيدة غرامي صحيح، وبه أيضاً تراجم مختارة لمشاهير علماء المالكية الشيخ أحمد رزوق.

وهناك مخطوطات عدة من هذا الكتاب، منها ما هو في دار الكتب الوطنية بتونس، وكذلك منه نسخ عدّة في خزانة الرباط، وكذلك في المكتبة العمومية بباريس، وكذلك هناك منه نسخ في دار الكتب المصرية، وجاء وصف هذه المخطوطات في مقدمة تقديم الفارسية من صفحة (٧٤) إلى صفحة (٧٧).